المبحث الرابع

اجتماع القلوب

اجتماع القلوب

قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣].

أي: وجَمَع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، ولكن الله جمع بينها على الإيمان، فأصبحوا إخوانًا متحابين، إنه عزيز في مُلكه، حكيم في أمره وتدبيره .

إن الله تعالى ألَّف قلوب الناس في المدينة على حب الله تعالى وعلى حب رسوله الأعظم صلوات الله عليه وسلامه، ولكن هناك أناسًا لا تعجبهم أن تسير السفينة، ولا يعجبهم أن يعيش الناس في راحة، يريدون أن يعيش الناس في نكدٍّ وغمٍّ، ولا يريدون أن يعيش الناس في سماحة، وإنما يريدون أن يعيشوا في كدر وكرب؛ لأجل هذا فإن المنافقين أرادوا أن يفعلوا شيئًا غريبًا عجيبًا في حياة رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام؛ ولذلك عندما تنشأ الفتن هذه الأيام لا ينبغي أن ننزعج لها كثيرًا، فإن هناك فتنًا كثيرة ظهرت في حياة رسول الله ﷺ.

وإن الذين قرءوا في الصحف أن هناك شابًّا ارتد عن الإسلام، وقالوا: أين أنتم أيها الدعاة؟ أين أنتم أيها المشايخ؟ أين أنتم أيها العلماء؟ قلنا لهم: إذا ارتد شخص (ونشك أنه ارتد في الأصل) فإن هناك آلافًا مؤلفة في كل مكان يدخلون في الإسلام، ولو ارتد أحدهم عن الإسلام، فإن هناك بضعة نفر ارتدوا عن الإسلام في حياة رسول الله ﷺ، ولم يكن هذا عجزًا منه صلوات الله عليه وسلامه أو تخاذلًا، ولكن الله ﷻ يريد أن يطلعك على أمور ستحدث، ولا ينبغي أن تنزعج لها، وإنما تكرهها وتنكرها من قلبك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة:١٨].

أي: لا يعتني ببيوت الله، ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى الحق.

اللهم اجعلنا وإياكم كذلك، فلما رأى المنافقون اجتماع الناس حول رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام أقاموا مسجدًا لهم، هذه هي البداية أقاموا مسجدًا آخر بحيث لا يصلون مع رسول الله ﷺ، وبحيث لا يشاهدون رسول الله ﷺ، وبحيث لا يجلسون في معية رسول الله ﷺ، وبحيث لا يمشون إلى مجلس يجلس فيه رسول الله ﷺ، كما قال الله ﷻ عن بعضهم في سورة المقشقشة التي تحدثنا عنها من قبل، وهي سورة التوبة كما في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١].

أي: فرح الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بقعودهم فى (المدينة) مخالفين لرسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحرِّ، وكانت غزوة (تبوك) في شدة الحرِّ. قل لهم أيها الرسول: نار جهنم أشد حرًّا، لو كانوا يعلمون ذلك .

لكنهم يا إلهنا أنت تعلم أنهم لا يفقهون، وأنت تعلم أنهم لا يعرفون قدر ولا عظمة رسول الله ﷺ، ماذا فعلوا؟

اتخذوا مسجدًا ضرارًا، بحيث يشتتون شمل الإسلام، هذه بداية التحزب، والتنافر، والشقاق الذي ظهر في الأمة الإسلامية العظيمة سيظهر بعد هؤلاء الخوارج، ويظهر بعدهم كذا وكذا، وتظهر فتن على نفس هذه الفتن التي سنتحدث عنها .

وقد نتكلم عن هذه التيارات، وهذه المذاهب، ونأخذك إليها، وإلى أساسها، لكننا بدأنا عند أول تحزب ظهر في الإسلام، وكان تحزبًا فاسدًا؛ لأنهم كانوا يعادون سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه، تحزبوا على من؟ على رسول الله ﷺ، وتحزبوا عليه بماذا؟ بمسجد، وهذا شيء عجيب، أي ما أقاموا كنيسة لكي يجتمعوا فيها، ولا أقاموا معبدًا لكي يجتمعوا فيه، ولكن أقاموا مسجدًا لكي يصلوا فيه، ولا يصلون مع رسول الله ﷺ.

يرى الإمام مالك أنه لا يصح أن تكون هناك جماعتان بإمامين في مسجد واحد[1]، والإمام مالك ومثله يرون أنه لا يصح أن يكون هناك مسجدان في شارع واحد، والعلماء قالوا: ينبغي هدم أحدهما؛ لأن وجودهما معًا يؤدى إلى فتنة، يؤدي إلى شتات، يؤدي إلى فرقة، إلى تنافر واختلاف بدلًا من أن يكون عدد المصلين في الجامع من ثلاثمائة إلى ربعمائة شخص، وفي الشارع الواحد أكثر من زاوية يصلى فيها عشرون، الإسلام لا يريد هذا.

وكان هناك رجل يسمى بأبى عامر الراهب كنت تستطيع في فترة معينة أن تقول ﷺ، وهي الفترة التي كان فيها مع رسول الله ﷺ، وظل يحارب مع رسول الله، ويقاتل من قاتلوا رسول الله ﷺ أي هو مسلم أي صحابي وماذا بعد؟ وفى غزوة حنين ارتد عن الإسلام، وتَنَصَّر، احذر من سوء الخاتمة، وكان يقول لرسول الله ﷺ: سأقاتل من يقاتلك حتى أموت، ولكنه تنصر، وترك الإسلام، لا تنزعج عندما تقرأ هذه الأخبار في الصحف، لأن الله تعالى ناصر دينه لا محالة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

أي: إنَّا لننصر رسلنا ومَن تبعهم من المؤمنين، ونؤيدهم على مَن آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون

(١) كتاب: مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، (٢/ ٤٤٢).

على الأمم التي كذَّبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذَّبتهم، ويوم الحساب لا ينتفع الكافرون الذين تعدَّوا حدود الله بما يقدِّمونه من عذر من رحمة الله، ولهم الدار السيئة في الآخرة، وهي النار.

فعندما ارتد أبو عامر الراهب، أمر ضعفاء الإيمان عندما يعودن إلى المدينة يقيمون مسجدًا، المسجد هذا إذا صلوا فيه، فإنهم يحاربون رسول الله ﷺ، لا يصح هذا ورسول الله ﷺ بينهم، فهذا المسجد الذي أقاموه سمى بمسجد ضرار، وكان الغرض منه أن هذا الرجل الراهب قال لهم: سآتي بقيصر الروم، أي سأستعين بالروم، وغزوة حنين كانت في العام الثامن، وخرج النبي ﷺ إلى قتال الروم في العام التاسع في غزوة تبوك، وفي ساعة العسرة كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧].

أي: لقد وفق الله نبيه محمدًا ﷺ إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله ﷺ الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة (تبوك) في حر شديد، وضيق من الزاد والظَّهْر، لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدِّعة والسكون، لكن الله ثبتهم وقوَّاهم وتاب عليهم، إنه بهم رءوف رحيم. ومن رحمته بهم أنْ مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم، وثبَّتهم عليها .

فأبو عامر الراهب بدلًا من أن يعود إلى المدينة ذهب إلى بلاد الروم يستنجد بقيصر، وكان معه أتباعه وأنصاره الذين يصلون في المسجد، وكانوا سبعة عشر رجلاً، وهم الذين بنوه، والذين أقاموه وفي خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه عندما كان أمير المؤمنين نادى على رجل منهم، وقال له: هل شاركت في مسجد ضرار؟ قال: نعم. قال: شاركت بماذا؟ فقال: شاركت

بسارية، أي عمود أو ما شابه ذلك، فقال سيدنا عمر ﷺ: إنها معلقة في رقبتك في جهنم، لماذا أتيت بها؟ لماذا شاركت هؤلاء الذين ينفضون عن رسول الله ﷺ؟ والذين يؤذون رسول الله ﷺ ويشتتون جمع هذه الأمة، الأساس في الإسلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا، وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحموا.

هذا هو الأساس، والقاعدة الشرعية هي الإخاء، فهؤلاء هدموا هذا المبدأ، وأقاموا مسجدًا ضرارًا، واستعانوا بعدو وهو "قيصر" على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، ووعد أبو عامر الراهب أتباعه أنه سيأتي بقيصر؛ لكي يخرج رسول الله ﷺ من المدينة، ولكن ما المصائب التي في داخله؟ لا ينبغي لك أن تنظر إلى ظواهر الأشياء، ولكن ينبغي لك أن تنظر إلى بواطن الأشياء قبل أن تعايش مظاهرها .

فإن كثيرًا من هذه المظاهر مزيفة، وإن كثيرًا منها باطل، ومن كان في وجهه علامة صلاة؛ فلابد وأن يكون عمله نورًا، ولابد وأن يكون رقيق القلب، وكذلك التي ترتدي نقابًا فإن النقاب يعبر عن أن قلبها نقي رقراقٌ صافٍ مسامح، وفيه عفو، لأجل هذا فموضوعنا هنا: "مسجد ضرار" اسمه مسجد، ورغم هذا انظر ماذا سيجرى فيه بعد قليل؟

لابد وأن ننظر إلى محل قلوب الناس، والله أعلم بالسرائر لا إلى ظواهر الناس، هذه بيضة، جميلة، بيضاء، نعم لا خلاف على ذلك.

هل تستطيع أن تقول أن كلها بيضاء؟ لا، ليست كلها بيضاء، ولكن البياض سيخفى في داخلها صفارًا، ليس كل أبيض سيعطى لك صورة صافية وبراقة، لا... كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

أي: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، تُطلعونهم على أسراركم، فهؤلاء لا يَفْترون عن إفساد حالكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلامهم، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم.

قد بيَّنَّا لكم البراهين والحجج؛ لتتعظوا وتحذروا، إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه.

ما أعظمك يا الله! ما أجمل كلامك يا الله! أي هو بالنسبة حبيب، وحنون وكذا وكذا، ولكن انظر ما في قلبه ناحية الله تعالى وناحية رسول الله ﷺ، وناحية الإسلام، ناحية المسلمين، وما العيب في الصفار الذي داخل البيضة؟ فقلت لك: إن الصفار تحول وتكدر وتلون؛ ولذا قالوا على نساء الروم لما وصفوا نساء الروم ببني الصفر.

ومعناها المتلونات، وهنا قيل: الصفار؛ لأنه تلون، كالذي يشرب كوب ماء فإذا بها صفراء لا يقدر على أن يشربها، ما الذي صفرها؟ وما الذي كدرها؟ فلا تحكم على بياض البيضة؛ لأن بداخلها صفار، ولكن تحكم عليها إجمالًا.

اللهم بصرنا بعيوبنا، وما في داخل قلوبنا، كثمرة باذنجان سوداء ولكن الذي في داخلها بياض، هل حكمت على ظاهرها أنها سوداء؟ هل حكمت على الأسود أنه أسود أم أن قلبه أبيض؟ هو أسود ولكن قلبه أبيض؛ لأجل هذا جئت لك بهذين الأمرين:

الأمر الأول: لا تنظر إلى الناس حسب ظواهرهم، كالذي يرفض أن يزوج ابنته لشخص قمحي، أو أسود، أو كذا، أو كذا ولا يرضى به، وإن

لقمان كان أسود وبعض الصحابة كانوا كذلك، والبيئة العربية تؤثر في وجوهنا، وفى كذا وكذا؛ فلا تحكم على مظاهر الناس، وعلى لونهم وإنما على قلوبهم.

وانظر لبلال ﷺ كيف ارتفع؟ وكيف أذن فوق الكعبة؟ وهل حكم على سواده أم حكم على قلبه، وعلى نور قلبه وعلى نصاعة قلبه وعلى نقاء قلبه؟ هذه هي المعاني التي نتمنى أن نتعايش عليها ما في القلوب والنوايا التي نعيش بها، وليس الظواهر التي ليس لها أي وجود.

إنهم أنشئوا مسجدًا، ولكن هذا المسجد ما الغرض منه؟ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٤٩].

أي: ومن هؤلاء المنافقين من يطلب الإذن للقعود عن الجهاد، ويقول: لا توقعْني فى الابتلاء بما يعرض لي في حالة الخروج من فتنة النساء، لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى، فإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفلِت منهم أحد .

ما سماتهم يا رب؟ ولماذا هم منافقون؟ ولماذا قلوبهم متكدرة؟ ولماذا تخفي صدورهم أكبر، إن تصبك حسنة تسوءهم، المنافق يحزن عندما يتفوق أو ينجح أولاد غيره، كما يأتي في كتابه الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة:٥٠].

إن يصبك أيها النبي ﷺ سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة، أو شدة يقولون: نحن أصحاب رأي وتدبير، قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن محمد، وينصرفون وهم مسرورون، بما صنعوا وبما أصابك من السوء .

هذا فضل من الله تعالى، إذن هؤلاء بنوا مسجدًا اسمه مسجد ضرار، وستعلم أن النبي العظيم ﷺ أمر بهدمه وحرقه، يا رسول الله هذا مسجد وتأمر بهدمه وبحرقه، ويؤذن فيه، وله مأذنة والناس تؤذن وتصلي، والنبي العظيم صاحب الرسالة الذي دعانا إلى الصلاة يأمر بهدمه وبحرقه؟ نعم، وكان لابد أن يفعل هذا، وهو لا يفعل هذا من نفسه ولا من تلقائه، وإنما بأمر ربه ﷻ جل في علاه، لماذا؟ لأنه مسجد ضرار، ومعنى ضرار أي: ضرر على الذين يصلون فيه؛ لأن الذين يجتمعون فيه فقط هم المنافقون، ولو استمر هذا المسجد على حاله لفتت قلوب الناس، وسود قلوب الناس، وصنف قلوب الناس.

فالمساجد ينبغي أن تكون لله تعالى، لا توصف بجماعات، ولا فئات، ولا أسماء من بنوها، ولكن هذا مسجد لله تعالى؛ نصلي فيه لا تسأل هو ينتمي لأي جماعة؟ فقال العلماء: هو مسجد ضرار أي: خطر على من يصلون فيه؛ لأن من دخله وصلى فيه صار منافقًا، حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدم إليه رجل لوظيفة، أو عمل، أو إمارة فقال له: ألم تكن تصلي في مسجد ضرار؟ وأن النبي العظيم ﷺ وصفهم بكذا، فقال له: يا أمير المؤمنين، كنت غلامًا صغيرًا في هذه الفترة، وكنت أحفظ كتاب الله تعالى، وغرروا بي، وأخذوني دون أن أدري، قالوا: صلِّ بنا، والذين أخذوني كانوا مشايخ ولحاهم طويلة فقلت: هؤلاء على خير، وإنهم من أهل الإسلام وأهل الملة والقبلة؛ فصليت بهم دون أن أعرف أنهم منافقون.

سيدنا عمر رضي الله عنه شأنه شأن العرب الكرام يفهم ويستجيب بسرعة، كما فهمنا، وعلمنا، فلما أدرك سيدنا عمر رضي الله عنه أنه صادق، عفا عنه، وسامحه، واستجاب لطلبه الذي كان يطلب.

هذه فلسفة إسلامية جميلة في التماس الأعذار للناس، ولم يقل: مكتوب عليه أنه عاصٍ إلى أن يموت، والمكتوب، أنه سارق يظل سارقًا إلى أن يموت، ولكن سبحان مغير الأحوال فسيدنا عمر ﷺ قبل عذر هذا الرجل.

أعود معك إلى مسجد ضرار، والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفروا ينبغي أن تقف عليهم !

يا رب يصلي، وهو كافر، يصلي ويقول: الله أكبر، ووصفته يارب أنه كافر؟! نعم؛ لأنه ستر شيئًا في داخله، وأظهر شيئًا في خارجه، وهذا هو الكفر أن تستر ما في داخلك، وأن تبدي ما في ظاهرك، أي: سترت أن الله الخالق، أن الله العليم، وأخفيت ما بداخلك فصرت كافرًا.

وعلماء السلف يميزون بين الكفر الأكبر، والكفر الأصغر، والشرك الأصغر، والشرك الأكبر؛ لكن الله تعالى وصف المنشقين على رسول الله ﷺ والخارجين عن طاعة رسول الله ﷺ والخارجين عن الأمة، وعن نقائها، وعن وحدتها وصفهم بأنهم كافرون. وعندئذ فإن الذي يخرج عن الأمة يضرب كافرها بفاجرها، ويضرب برها بفاجرها هكذا وصفه الله تعالى بهذه الحالة الذي يتهم الناس بالكفر وصفه الله تعالى بهذه الحالة .

فقال العلماء: كل من يجمع الناس حوله؛ لكي يشق عصا الطاعة فهو في حكم من بنى مسجد ضرار، وكل من يبنى مسجدًا فتنةً؛ ليجلب طائفة من الناس ينزعها من بين الناس، ومن صفوف الناس فهو كمن بنى مسجد ضرار كما أخبرنا الملك ﷻ .

ويريد الله تعالى لهذه الأمة أن تكون أمة واحدة، وأن يكون قَلْبُها واحدًا، وأن تكون قبلتها واحدة، وأن تكون على معية إيمانية واحدة كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة:١٠٧].

أي: والمنافقون الذين بنوا مسجدًا؛ مضارة للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين؛ ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد (قباء) الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلفون ويفرقون بسبب ذلك، وانتظارًا لمن حارب الله ورسوله من قبل هو أبو عامر الراهب الفاسق؛ ليكون مكانًا للكيد للمسلمين، وليحلفن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين، والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد (قباء)، والله يشهد أنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه، وقد هُدم المسجد وأحرق.

وكل هذه المعاني لا يحبها الله تعالى، ولا يحبها رسوله ﷺ: التنافر، والتناحر، والشقاق، والتحزبية، والاختلاف، والتصدعية كل هذا لا يحبه الله ﷻ.

فالجدار متى يقع؟ والأمة متى تسقط؟ عندما يأتيها التصدع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم أيقظنا من غفلتنا بفضلك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وألحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك، وارزقنا كما رزقتهم من لذيذ مناجاتك، واغفر لنا ذنوبنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك، يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفاء، الصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على سيد ولد عدنان، وآله وصحبه ومتبعيهم بإحسان.

****